



قطاع الثقافة

السيرة النبوية

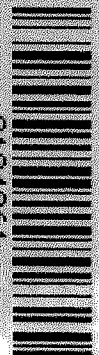
لأبْنِ إِسْحَاقَ

الجزء ٣

المجلد الثاني



Bibliotheca Alexandrina



0104861

— ٧٧ — ابن إسحاق

إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السحر ، وهو في بيت أم سلمة ، فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال : تيب على أبي لبابة ، قالت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك قال : فثار الناس إليه ليطلقوه ^(١) فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده ، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

• إسلام بعض بني هذل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأسيّد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذل ، ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله ﷺ .

• قصّة عمرو بن سعدى :

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القُرْظِي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قُرَيْظَةَ في غدرهم برسول الله ﷺ وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه ^(١) كان يرمى برمة فيمن أوثق من بني قُرَيْظَةَ ، حين نزلوا على حكم

رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يدرى أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مواليونا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع . وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبى ابن سلول ^(١) ، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم . يقال لها ربيعة ^(٢) ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب ^(٣) بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكم رسول الله ﷺ فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم ^(٤) ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أبى سعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله

(١) سلول : أم عبد الله بن أبى .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم ، وهى أول طيبة فى الإسلام .

(٣) أى تحتسب عملها هذا أجر ابتغاء مرضاة الله ، وترجو الثواب من الله .

(٤) آدم : أى جلد .

— ٧٩ — ابن إسحاق

وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ لإجلال له ، فقال رسول الله ﷺ نعم ، قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

* ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (١) .

* قتل بنى قريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة فى دار بنت الحارث (٢) ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التى هى سوقها اليوم ، فخذق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا (٣) ، وفيهم عدو الله حبي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

* مقتل حبي بن أخطب :

وأتى بحبي بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقاحية (٤) .
قد شقها عليه من كل ناحية قدر أئمة لثا يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك

(١) أى سبع سماوات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت

(أى زوجة) مسيلة الكذاب ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز .

(٣) أرسالا : أى طائفة أو جماعة وراء أخرى .

(٤) تشبه لون الورد حين يبدو تفتحته .

— ٨٠ — ابن إسحاق —

ولكنه من يخذل الله يُخذل (١) ، ثم أقبل على الناس : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها ، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل (٢) .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير (٣) بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان منّ عليه يوم بُعث (٤) ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هلى تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزى الكريم ، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ .

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منّة . وقد أحببت أن أجزيه بها . فهب لي دمه ، فقال رسول الله ﷺ : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

(١) وهذا اعتراف من الأعداء بأن الله يؤيد نبيه ومن ينصر الله ينصره ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

(٢) قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته .

(٣) هو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

(٤) يوم بُعث : من أيام العرب الشهيرة وفيه دارت حرب بين قبيلتى الأوس والخزرج فى يثرب .

— ابن إسحاق — ٨١ —

يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك ، فهو لك ، قال يا ثابت ، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حبيى بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ، قال : ذهبوا قُتلوا قال : فإننى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصاير لله فتلة دلو ناضح^(١) حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبة . قال يلقاتهم والله فى نار جهنم خالداً فيها مخلداً .

* قصة عطية ورفاعة بن سموأل القرظيين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم^(٢) وكنت غلاماً . فوجدنى لم أنبت . فخلوا سبيلى^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصَعَة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سُلَيْط بن قيس -

(١) الناضح : الحبل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الخوض .

(٢) أنبت منهم : أى ظهر الشعر على عاتقه وهو من علامات البلوغ .

(٣) وهذا دليل واضح الدلالة على رحمة الإسلام الذى حرّم قتل الشيوخ والنساء التى لم تحارب ، والأطفال الذين لم يبلغوا ، ومن لم يكن فى أرض المعركة ، يالها من أخلاق سامية وسماحة عالية !

— ٨٢ — ابن إسحاق —

وكانت إحدى حالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين ^(١) وبايعته بيعة النساء - سأله رفاعة بن سَمْوَالِ الْقُرْظِي ، وكان رجلاً قد بلغ : فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاعة فإنه قد رعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل ، قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

تقسيم الفيء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين . وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل ^(٢) وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ^(٣) من ليس له فارس ، سهم . وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فئ وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغارى .

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل سبايا ^(٤) من سبايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام ريحانة : قال : وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُثَافَة ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه ^(٥) ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك ، فهو أخف على وعلى ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : إن هذا

(١) أي صلت مع رسول الله ، إلى اتجاه بيت المقدس القبلة الأولى ، ثم عاشت حتى أمر الرسول ﷺ بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ، وعبارة صلت معه القبلتين تدل على إسلامها المبكر .

(٢) أي جعل للفارس سهمين من الفيء والغنيمة .

(٣) الراجل : أي الذي يسير مترجلاً أي على رجله (قدمه) .

(٤) السبايا : الأسارى .

(٥) أي جاريته وليست بزوجه .

— ابن إسحاق — ٨٣ —

لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة^(١) ، فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسر ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بني قريظة من القرآن ، القصة في الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾^(٢) . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الرياح الملائكة ، يقول الله تعالى : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾^(٣) . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ لقول : معتب بن قشير إذ يقول ما قال : ﴿ وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ﴾ لقول أوس بن قيطي وممن كان على رأيه من قومه : ﴿ ولو دخلت عليهم من أقطارها ﴾ أي المدينة^(٤) .

﴿ ثم سألوا الفتنة ﴾ أي : الرجوع إلى الشرك : ﴿ لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا ﴾ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا ﴿ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هممتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الله الذي أعطوا من

(١) وهذا من مبشرات الرسول ومن دلائل نبوته ؛ وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ٩ .

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ .

(٤) قال ابن هشام : الأقطار الجوانب ، وواحد قطر ، وهي الأقطار وواحد قطر . انظر سيرة ابن هشام .

— ٨٤ — ابن إسحاق —

أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ * قد يعلم الله المعوقين منكم ﴿ : أى أهل النفاق : ﴿ والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلاً ﴾ : أى إلا دفعاً وتعذيراً ^(١) : ﴿ أشحّة عليكم ﴾ ، أى للضغن ^(٢) الذى فى أنفسهم . ﴿ فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعيانهم كالذى يغشى عليه من الموت ﴾ . أى إعظاماً له وفرقاً منه . ﴿ فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد ﴾ ^(٣) أى فى القول بما لا تحبون ، أنهم لا يرجون آخرته ، ولا تحملهم حُسبة ^(٤) ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ قریش و غطفان : ﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ : أى لثلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به . ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ : أى صبرا على البلاء وتسليماً للقضاء . وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن إسحاق : ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله : ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ أى ما

(١) التعذير : هو فعل الشئ بغير نية كى يعذره الناس .

(٢) الضغن : أى الحقد والغل .

(٣) سورة الأحزاب : الآيات ١١ - ١٩ .

(٤) حُسبة : أى عمل الشئ ابتغاء مرضاة الله وادخار الأجر عند الله .

— ابن إسحاق — ٨٥ —

شكوا وما ترددوا في دينهم ، وما استبدلوا به غيره ﴿ ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ ورد الله الذين كفروا بغيظهم ﴿ أى قريشاً وغطفان : ﴿ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ﴿ أى بنى قريظة ﴾ من صياصيتهم ﴿ ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن إسحاق : ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها ﴾ : يعنى خيبر ، ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ (١) .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش (٢) ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن

(١) سورة الأحزاب : الآيات ٢٠ - ٢٧ .

(٢) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، وتجوّر عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ : ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ، قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : =

— ٨٦ — ابن إسحاق —

قالت : أقبلت عائشة قافلة ^(١) من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقية موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحنن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلاً بادناً ^(٢) ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادناً وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبَّح رسول الله ﷺ فسبَّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال : لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو
وقالت أم سعد ^(٣) ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه :
ويلٌ أم سعدٍ سعداً صرامةً وجداً

= أن سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر منهم ، أبو سعيد الخدرى ، وأسيد بن حضير ، ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكرهيته للتحدث به مع صحة نقله وكثرة الرواة له لم تصح عن مالك ، انظر الروض الانف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٢ / ٢٨٣ ، وما بعدها .

(١) أى راجعة أو عائدة .

(٢) أى بديناً أو سميناً يريد ضخم الجسم .

(٣) قال ابن هشام : هى كيشة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن الأبرج .

— ابن إسحاق — ٨٧ —

وُسُودًا وَمَجْدًا وَفَارِسًا مُعَدًّا

سُدُّ بِهِ مَسَدًا يَقْدِرُ هَامًا قَدًّا

يقول ﷺ : « كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ » (١) .

* * *

(١) وذلك لأنها كانت صادقة في شعورها نحوه وصدقها فيما قالت وما قالته نفاقاً ولا مدحاً لأجل مال أو شهرة وإنما جاءت كلماتها من القلب دون تكلف في رجل يستحق ذلك الرثاء .

الشَّهْدَاءُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .
 من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ،
 وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .
 ومن بنى جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة
 ابن غنيمة . رجلان .
 ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب (١) ،
 فقتله .

* قتلى المشركين :

وقتل من المشركين ثلاثة نفر :
 من بنى عبد الدار بن قُصَي : مُبَّة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد
 الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .
 قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ،
 سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه فقتل ،
 فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا في جسده ولا
 بثمنه ، فحلى بينهم وبينه (٢) .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤى ، ثم من بنى مالك بن حسل :
 عمرو بن عبد ود قُتل على بن أبي طالب رضوان الله عليه .

* * *

(١) قال ابن هشام : سهم غرب أى الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين رمى به .

(٢) وهذا يبين إلى أى مدى عظمة وسماحة الإسلام وعدم التمثيل بالميت .

الشهداء يوم بنى قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ثم من بنى الحارث بن الخزرج ، خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحي (١) ، فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : إن له لأجر شهيدين .
ومات أبو سنان بن مُحْصَن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمه ، ورسول الله ﷺ محاصر بنى قريظة ، فدفن في مقبرة بنى قريظة التي يدفنون فيها اليوم (٢) وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .
ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها « حتى فتح الله عليه مكة » (٣) .

* * *

(١) الرِّحَا : الأداة التى يُطحن بها ، وهى حجران مستديران يوضع أحدهما على الآخر ويدار الأعلى على قطب ، والجمع أرحاء وأرحية . انظر المعجم الوجيز ص ٢٥٩ .
(٢) أى أيام ابن إسحاق .
(٢) وهذه من أعلام ودلائل النبوة أى المبشرات التى حدث بها الرسول ﷺ أنها ستحدث فى المستقبل وحدثت بالفعل كما أخبر .

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

* شعر كعب بن مالك :

- | | |
|--|---|
| بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمَحْرَقِ (١) | مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يَمْعَمِعُ بَعْضُهُ |
| بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ (٢) | فَلْتَأْتِ مَأْسِدَةً تُسْنِ سِيُوفُهَا |
| مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لَرَبِّ الْمَشْرِقِ | دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمَعْلَمِينَ وَأَسْلَمُوا |
| بِهِمْ وَكَأَنَّ بَعْبَهُ ذَا مَرْفَقِ | فِي عَصْبَةٍ نَصَرَ إِلَهَ نَبِيهِ |
| كَالْنَهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَثْرُوقِ (٣) | فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا |
| حَذَقِ الْجَنَادُ بِذَاتِ شَكِّ مَوْثِقِ (٤) | بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَانَتْ قَتِيرَهَا |
| صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمٌ ذِي رَوْنَقِ (٥) | جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نَجَادٌ مُهَنْدٌ |
| يَوْمَ الْهَيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ | تَلَكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسُنَا |
| قُدَمَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لِمَ نُلْحِقِ | نَصْلُ السِّيُوفِ إِذَا قَصَرْنَ بِخَطُونَا |
| بَلْهُ الْأَكُفُّ كَأَنَّهُمَا لَمْ تَخْلُقِ (٦) | فَتَرَى الْجُمُاعَ ضَاحِيَا هَامَاتِهَا |
| تَنْفَى الْجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ (٧) | نَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلَكُمُومَةٍ |

(١) المعمة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد : مكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط نضولها : ينجر على الأرض ما راد منها . النهي : غدير الماء .

(٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب ، نوع صغير من الجراد ، والشك : إحكام في الصنع . مَوْثِقٌ : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسيج . يحفظها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وصفائه وبريقه .

(٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك

(٧) الملمومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة .



وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلُصٍ وَرَدَ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أُبْلِقُ (١)
تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَانَ كَمَا تَهْمُ عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدَ طَلٍّ مَلْثَقٍ (٢)
صُدُقٍ يُعَاطُونَ الْكُفَّةَ حَتُّوفَهُمْ تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ الْمَرْهَقِ (٣)
قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضاً :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَأَمُوا دِينَنَا مَا تُوَادِعُ
أَصْصَامِيمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخَنْدَقٌ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعٌ (٤)
يَزُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَزُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَأَى وَسَامِعُ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصَرَ مِنَ اللَّهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِيْنَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ
هَدَانَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَاللَّهُ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق أيضاً :

أَلَا أُبْلِغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَمًا وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ (٥)
نَوَاضِحٍ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتٍ وَخَوْضٍ تُقْبِتُ مِنْ عَهْدٍ عَادِ (٦)
رَوَاكِدٍ يَزْخَرُ الْمَرَارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجَمَامِ وَلَا الثَّمَادِ (٧)
كَانَ الْغَابُ وَالْبَرْدَى فِيهَا أَجَشَّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ (٨)
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ الْـ حَمِيرٍ لِأَرْضِ دُوسٍ أَوْ مَرَادِ
بِلَادٍ لَمْ تُثَّرْ إِلَّا لَكَيْمَا نَجَالِدُ إِنْ نَشْطَطُمُ لِلْجَلَادِ

-
- (١) مقلص : الفرس الخفيف . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول
القوائم : فى قوائمه بياض . (٢) الطل : المطر الضعيف .
(٣) العماية : ظلمة الغبار . الوشيج : الرماح .
(٤) أصصاميم : جماعات . أصفقت : اجتمعت على أمر .
(٥) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .
(٦) نواضح : حدائق تسقى بالنضح . خوص : آبار ضيقة .
(٧) المرار : نهر . الجمام : الآبار كثيرة الماء ، الثماد : الماء القليل .
(٨) الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .

أثرنا سكة الأتباط فيها
قصرنا كل ذي حُضِرٍ وطول
أجيبونا إلى ما نجتديكم
ولا فاصبروا لجلاد يوم
نُصبِّحكم بكل أخى حروب
وكل طمرة خفسق حشاها
وكل مقلص الأراب نهْد
خيول لا تُضَاع إذا أُضِيعَتْ
يُنَارَعْنَ الأعِنَّة مُصْغِيَاتُ
إذا قالت لنا النذر استعدوا
وقلنا لن يفرج ما لقينا
فلم تر عَصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
أشدَّ بِسَالَةً مِنْنا إذا ما
إذا ما نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
قذفنا فى السوابغ كل صَقِيرٍ

(١) فلم تر مثلها جَلْهَاتٍ وَادٍ (١)
(٢) على الغَايَاتِ مُقْتَدِرٍ جَوَادٍ (٢)
(٣) من القول المَبِينِ والسداد (٣)
(٤) لكم منا إلى شَطَرِ المَذَادِ (٤)
(٥) وكل مَطَهَّهم سَلَسَ القِيَادِ (٥)
(٦) تَدَفَّ دَفِيفَ صَفَرَاءِ الجِرَادِ (٦)
(٧) تَمِيمُ الخَلْقِ مِنْ أُخْرٍ وَهَادِي (٧)
(٨) خِيُولُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الجَمَادِ (٨)
إذا نادى إلى الفَرْعِ المَنَادِي
تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ
سِوَى ضَرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ (٧)
من الْأَقْوَامِ مَنْ قَارَ وَبَادِي
أَرَدْنَاهُ وَالْإِنِ فِى الْوِدَادِ
جِيَادِ الْجَدَلِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ (٨)
كَرِيمٍ غَيْرِ مَعْتَلِّثِ الزُّنَادِ

- (١) السكة : النخيل المصطف . جلهاات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .
(٢) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل .
(٣) نجتديكم : نسألكم .
(٤) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .
(٥) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .
صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .
(٦) المقلص : الشديد . الأراب : قطع اللحم . النهْد : الغليظ ، والهادى : العنق .
أى : كريم من أوله إلى آخره .
(٧) القوانس : أعالي بيض الحديد .
(٨) أشرجنا : ربطنا ، الجدل : الدروع المحكمة النسج ، الأرب : العقد الشديدة .

— ابن إسحاق — ٩٣ —

أَشْمُ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ*
يَغْشَى هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَذْكَى
غَدَاةٌ بَدَأَ يَبْطُنُ الْجَزْعَ غَادِي
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا
صَبَى السَّيْفِ مَسْوَخِي النِّجَادِ (١)
يَكْفُكَ فَاهُ—دَنَا سُبُلَ الرِّشَادِ
* رثاء مُسَافِعٍ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ :

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن جذافة بن جمح ،
يبكى عمرو بن عبد ود ، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ
سَمَحَ الْخِلَاطِ مَاجِدٌ ذُو مَرَّةٍ
جَزَعُ الْمَذَادِ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلٍ (٢)
يَبْغِي الْقِتَالَ بِشَكْوَةٍ لَمْ يَنْكَلِ
أَنَّ ابْنَ عَبْدِ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلَى (٣)
بِجَنُوبِ سَلْعٍ غَوِيرٍ نَحْسٍ أَمِيلِ
بِجَنُوبِ سَلْعٍ ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزَلِ
فَخَرًّا وَلَا لَاقِيَتْ مَثْلَ الْمُغْضَلِ
لَاقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّحَلِ (٤)
أَعْنَى الَّذِي جَزَعُ الْمَذَادِ بِمَهْرِهِ
تَسَلَّى النَّزَالَ عَلَى فَارِسٍ غَالِبِ
فَازْهَبْ عَلَى فَمَا ظَفَرَتْ بِمَثْلِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِفَارِسٍ مِّنْ غَالِبِ

• هُبَيْرَةُ يُرْثِي عَمْرُو بْنَ عَبْدِ وَدٍّ :

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فواره ، ويبكى عمروًا
ويذكر قتل علي إياه :
لَعَمْرِي مَا وَلَيْتَ ظَهْرِي مُحَمَّدًا
وَأَصْحَابَهُ جُبْنَا وَلَا خِيْفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ
لِسَيْفِي غَنَاءَ إِنْ ضَرَبْتَ وَلَا نَبْلِي

(١) المذكى : شديد القوة ، صبي السيف : وسطه ، النجاد : حمائل السيف .
(٢) جزع : أى قطع ، المذاد : مكان بالمدينة حيث بنى الخندق ، ليليل : واد فى بدر .
(٣) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر . (٤) لم يتحلحل : أى لم يتزحزح ولم يهرب .

وَقَفْتُ فَلَمَّا أَجِدْ لِي مَقْدَمًا صَدَرْتُ كَضَرْغَامٍ هَزِيرِ أَبِي شَبَلٍ (١)
 ثَنَى عَطْفَهُ عَنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدَمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلَى
 فَلَا تَبْعُدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
 وَلَا تَبْعُدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودُ الثَّنَا مَا جَدَ الْأَصْلَى (٢)
 فَمَنْ لَطَرَا الْحَيْلِ تَقْدَعُ بِالْقَنَى — وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبَزْلِ (٣)
 هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَارِهَا وَقَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرَ مَا وَغَلٍ (٤)
 فَعَنكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتُ عَلَى نَجْدِ الْمَقْدَمِ كَالْفَحْلِ (٥)
 فَمَا ظَفَرْتُ كَفَاكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ أَمَنْتَ بِهِ مَا عَشْتِ مِنْ زَلَةِ النَعْلِ (٦)
 * فَاخْرُ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ بِقَتْلِ عَمْرُو:

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا في شأن عمرو بن عبد ود :

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغَى بَعَجُوبٍ يَشْرَبُ ثَارِهِ لَمْ يَنْظُرِ
 فَلَقَدْ وَجَدَتْ سَيُوفُنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدَتْ جِيَادَنَا لِمِ تَقْصُرُ
 وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَدْرِ عَصْبَةٍ ضَرْبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحَسْرِ (٧)
 أَصْبَحْتَ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ الْجَسِيْمِ أَمْرٍ مُنْكَرٍ
 قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

(١) الهزير : الشديد القوى ، الشبل : ولد الأسد .

(٢) الثنا : السيرة الحسنة والذكرى الطيبة .

(٣) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .

(٤) الوغل : الفاسد .

(٥) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

(٦) الحق يقال أن كل ما قيل من شعر تمجيدًا ومدحًا في عمرو بن عبد ود كان بحق

شهادة تقدير للإمام على كرم الله وجهه ، ورضى عنه - ودليلا على بطولته وشجاعته ، وأنه

كان نصيرًا للإسلام ومثله كل صحابة رسول الله ﷺ .

(٧) الحسر : أى الذى لا درع له .

— ٩٥ — ابن إسحاق

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا هِدْمٍ رَسُولا
أَكُنْتُ وَلِيكُمُ فِي كُلِّ كُرْهٍ
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَأَى
* حسان يبكى سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ
ويذكر حكمه فيهم :

لَقَدْ سَجَمْتُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عَبْرَةً
قَتِيلِ ثَوْرِي فِي مَعْرَكٍ فُجِعَتْ بِهِ
عَلَى مَلَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَرِثَ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتَ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكُمْ فِيهِمْ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى
فَنِعْمَ مَصْنِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دَعَوْا

وَحَقَّ لَعِينِي أَنْ تَقْضِيَ عَلَى سَعْدٍ
عُيُونُ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ (٢)
مَعَ الشَّهْدَاءِ ، وَفَذَها أَكْرَمُ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتُ فِي غُيَّاءِ مَظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ
وَكَمْ تَعَفَّ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ
شَرُوا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَاتِهَا الْخُلْدِ
إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

* * *

(١) المغلغلة : الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .

(٢) ذواري : أي ساكنة .

مَقْتَلُ سَلَامَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ (١)

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب (٢) على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله ابن كعب بن مالك قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ، قال : فتذكروا : من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم .

الذين قتلوا ابن أبي الحقيق :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا

(١) كان من اليهود المعاندين أشد العناد والمعادين أشد العداوة لرسول الله ﷺ وللمسلمين فأراحهم الله منه .

(٢) حزب الأحزاب : أى هو الذى تسبب فى جمعهم ضد الرسول وتآليهم عليه .

— ابن إسحاق — ٩٧ —

دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال :
وكان في عليّة له إليها عجلة ^(١) قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه فأستأذنوا
عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناسٌ من العرب نلتمس
الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا
علينا وعليها الحجرة ، تخوفاً أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه ، قالت :
فصاحت امرأته فنوّهت ^(٢) بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيفنا ، فوالله ما يدلنا
عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ^(٣) ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ،
جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله ﷺ فيكيف يده ^(٤) ،
ولولا لذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيفنا تحامل عليه عبد الله بن
أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنِي قَطْنِي : أى حسبي حسبي ،
قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر قال : فوقع من الدرجة
فوئثت ^(٥) يده وثناً شديداً ^(٦) ، وحملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم ، فندخل
فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يسوا
رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن
عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل
في الناس ، قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في
وجهه ، وتحدثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكلبت نفسي

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليه .

(٢) نوّهت : شهرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع في مصر .

(٤) وهنا يتضح لنا جلياً كيف كان الصحابة يطبقون تعاليم الإسلام ورسول الإسلام
دون تزيّد منهم أو اجتهاد ، ويتضح أيضاً مدى ورعهم وتقواهم في تنفيذ ما أمرهم به
الرسول ﷺ .

(٥) وثئت : أى أصابت اللحم فقط ولم تصب العظم ؛

(٦) قال ابن هشام : وثئت رجله .

— ٩٨ — ابن إسحاق —

وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت ، فاظ (١)
وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسى منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر
فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا
عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسايكم ،
قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس ، هذا قتله ، أرى فيه أثر
الطعان (٢) .

* شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن
الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله در عصاة لاقيتهم	يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحاً كاسد فى عرين معرف (٣)
حتى أتوكم فى محل بلادكم	فسقوكم حنفاً بيض ذف
مستبشرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

* * *

(١) أى مات .

(٢) وهذا يبين مدى ذكاء وفطنة وفراصة النبى ﷺ .

(٣) أى ملفت بالأغصان ومحضن .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجلا من قریش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرا ، وإنني قد رأيت أمرا ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(١) ، فجمعنا له أدم كثيرا ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قریش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ^(٢) ، أهديت إلي من بلادك شيئا ؟ قال : قلت نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدم كثيرا ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ، ثم

(١) الأدم : الجلد المدبوغ .

(٢) كان عمرو يسافر كثيرا إلى الحبشة ويأخذ معه هدايا للنجاشي فصار معروفا وكان

يكرمه ويحسن ضيافته .

— ١٠٠ — ابن إسحاق —

قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، إنه كذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ^(١) ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ^(٢) .

* اتفاق عمرو وخالد على الإسلام :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ^(٣) ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ^(٤) . قال : والله لقد استقام المنسم ^(٥) وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم فحتي متى ، قال : قلت والله ما جئت إلا لأسلم قال : فقدما المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجِبُ ^(٦) ما كان قبله ، وأن الهجرة تجب ما كان قبلها ، فبايعته ، ثم انصرفت .

* إسلام عثمان بن طلحة :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

(١) وهذا دليل على أن النجاشي كان مسلماً وقتها ، ولذلك لما مات صلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب ، وأمر من معه من المسلمين بالصلاة عليه .

(٢) ليس خوفاً منهم ولكن حتى لا يضغطوا عليه ويجعلوه يرجع عن الإسلام بعدما تبين له أنه الحق مما عرفه من النجاشي .

(٣) أى فتح مكة .

(٤) كنية خالد بن الوليد .

(٥) أى تبين الأمر .

(٦) أى يمحو ، والمراد ليس عليك ذنب مما مضى .

— ١٠١ — ابن إسحاق

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبير السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا
وما عقد الآباء من كل حلفه
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي
فلا تأمنن خالداً بعد هذه
وملقى نعال القوم عند المقبل^(١)
وما خالداً من مثلها بمحلى
وما يبتغي من مجد بيت مؤثر
وعثمان جاء بالدهيم المعضل^(٢)

وكان فتح بن قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة

المشركون .

* * *

(١) المقبل : موضع الحجر الأسود .

(٢) الدهيم : أى الداهية .

غزوة بني لحيان

* خروج النبي ﷺ إلى بني لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع ^(١) : خبيب بن عدى وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة ^(٢) .

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق ^(٣) ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صحيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ ^(٤) السير سريعًا ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بني لحيان ، وجران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رؤوس الجبال ، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتين راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلاً .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا : آيئون تائبون إن شاء الله لرينا حامدون ، أعوذ بالله من وعشاء السفر ^(٥) وكآبة ^(٦) المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال .

(١) وهم من خيرة القراء قتلوهم يوم الرجيع .

(٢) قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(٣) صفق : عدل . (٤) أغذ : أسرع .

(٥) وعشاء السفر : شدته .

(٦) الكآبة : الحزن .

— ابن إسحاق — ١٠٣ —

والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| لو أن بني لحيان كانوا تناظروا | لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق (١) |
| لقوا سرعانا يملأ السرب روعه | أمام طحون كالمجرة فيلق (٢) |
| ولكنهم كانوا وباراً تتبعست | شعاب حجاز غير ذى متنفق (٣) |

* * *

-
- (١) تناظروا : انتظرونا ، العصب : الجماعات .
 (٢) سرعان : من يتقدمون الجيش ، السرب : الطريق ، الطحون : الكتيبة الضخمة ،
 المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .
 (٣) الوبار : جمع وبر وهى دويبة صغيرة تشبه الهرة ، المتنفق : الذى له منفذ
 ينفذ منه .

غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ

* سبب الغزوة :

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقيم بها إلا ليالي قلائل ، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، في خيل من غطفان على لقاح (١) لرسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

* ما حدث لابن الأكوع :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث عن غزوة ذي قرد بعض الحديث : أنه كان أول من نذر (٢) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا (٣) يريد الغابة متوشحاً قوسه (٤) ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلع (٥) ، ثم خرج يشتد في آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أو يكعنا هو أول النهار .

* تسابق الفرسان :

قال وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفرع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ .

(٢) نذر : علم .

(١) اللقاح : الإبل الحوامل .

(٣) غدا : أي ذهب مبكراً ، الغداة أول النهار .

(٤) متوشحاً قوسه : أي حامله مستعداً للقتال .

(٥) سلع : اسم جبل قريب من المدينة .

— ١٠٥ — ابن إسحاق

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بنى عبد الأشهل وسعد بن زيد أحد بنى كعب بن عبد الأشهل وأسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يشك فيه ، وعكاشة بن محصن أخو بنى أسد ابن خزيمية ، ومحرز بن نضلة أخو بنى أسد بن خزيمية ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بنى زريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس .

﴿ نصيحة الرسول لأبى عياش : ﴾

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص . أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة ، وكان ثامناً ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، وي طرح أسيد بن ظهير ، أخا بنى حارثة والله أعلم أى ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجله . فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة : أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمية - وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قمير ، وأن الفرع لما كان . جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صنيعاً جاماً ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطيته إياه . . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بد الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

— ١٠٦ — ابن إسحاق —

قفوا يا معشر بنى اللكية^(١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية^(٢) من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره .
* أقرأسُ المسلمين :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة^(٣) .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرراً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرراً واستلب الجناح .

* قتلى المشركين :

قال ابن إسحاق : فإذا حبيبٌ مُسجىٌ ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس^(٤) وقالوا قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتل أبى قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه^(٥) .

* ما قيل من شعر يوم ذى قرد :

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعينة ابن حصن ، وكان عينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فَهَلَّا كَرَّرْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تُقْتَلُ
ذَكَرْتَ الْإِسَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَهِيَ هَاتِ قَدْ بَعْدَ الْمَقْفَلِ^(٦)

(١) اللكية : اللثيمة .

(٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .

(٣) اللمة : أى الشديدة .

(٤) المقصود بالناس هنا أى المسلمون ، استرجعوا : قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٥) أى أنه الذى قتله .

(٦) عسجر : موضع قريب من مكة .

— ابن إسحاق — ١٠٧ —

وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مِيعَةٍ	مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يُرْسَلُ (١)
إِذَا قَبَضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّمَا	لَ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجَلُ
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ	لَهُ لَمْ يَنْظُرُ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا	طُرَادَ الْكُمَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا (٢)
إِذَا طَرَدُوا الْحَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ	فَضَّاحًا وَإِنْ يَطْرُدُوا يَنْزِلُوا
فِيَعْتَصِمُوا فَوَى سِوَاءِ الْمَقَا	مَ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَ صَهْلُهَا الصِّقْلُ

* * *

(١) ذامية : ذو نشاط ، المسح : كثير الجرى .
 (٢) أسهلوا : أى نزلوا السهل .

غزوة بنى المصطلق فى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة ^(١) ، فى شعبان سنة ست .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلٌ قد حدثني بعض حديث بنى المصطلق ، وقالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع ^(٢) ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

إصابة ابن صبابه خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر . يقال له : هشام بن صبابه ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسانان بن وبر ^(٣) الجهنى ، حليف بنى عوف بن

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق وهو رفع الصوت .

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٣ / ١٥ .

— ابن إسحاق — ١٠٩ —

الخزرج على الماء ، فاقْتَتَلَا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ^(١) : فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أو قد فعلوها ، قد نافرونا وكثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلايب قريش ^(٢) إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد ابن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أبي : وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . وكان فى قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حذبا على ابن أبي ابن سلول ودفعاً عنه .

^(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع يا لعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له .
والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهييه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد .

والقول الثالث : اجتهد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى ﷺ لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى ﷺ لها بالإتيان وجب أن يؤدب .
^(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

✽ لقاء أُسيد بن حُضير برسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حُضير فحياه بتحية النبوة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحلت في ساعة مبكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي ، قال : وما قال ؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله والله والله تخرجه منها إن شئت ، وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال : يا رسول الله أرفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وأن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكاً ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبي .

✽ ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أبي :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة ، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي (١) فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلاً فمُرني به (٢) فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرج ما كان لها من رجل أبر ، بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا (٤) .

مُخَادَعَةُ مَقِيس : قال ابن إسحاق : وقدم مَقِيس بن صَبَابَة من مكة مسلماً ،

(١) أي أبيه . (٢) أي مُرني بقتله .

(٣) وهنا يتضح قوة إيمانه وتمسكه بدينه .

(٤) من أجل الولد الصالح المؤمن عفى الرسول ﷺ عن أبيه الكافر ، ومن هنا نعلم أن الولد الصالح ينفع والديه في الدنيا وفي الآخرة ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » والمقصود بالولد : الذكر والأنثى .

— ١١١ — ابن إسحاق

فيما يظهر فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلما ، وجئتكم أطلب دية أخى ، قتل خطأ .
فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابه ، فأقام عند رسول الله ﷺ
غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، فقال فى شعر
يقوله :

شَقَى النَّفْسَ أَنْ مَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تَضْرَجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءُ الْأَخْدَاعِ (١)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَكَلَّمَ فَتَحْمِينَى وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى وَأَدْرَكَتْ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَارَتْ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سُرَاةَ بَنَى النِّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٢)
وقال مقيس بن صبابه أيضا :

جَلَّلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاتَ لَهَا وَشَلَّ مِنْ نَافِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ
فَقَلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أُسْرَتَهُ لَا تَأْمَنُ بَنَى بَكْرٍ إِذَا ظَلَمُوا

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ
ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن
عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم
سبيا كثيرا ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية
بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،
عن عائشة ، قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية
بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على

(١) الأخداع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .

(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة .

— ١١٢ — ابن إسحاق —

نفسها^(١) وكانت امرأة حلوة ملاحه ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابها^(٢) ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها^(٣) وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيته . فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت وما هو يا رسول الله قال : أقضى عنك كتابتك^(٤) وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت^(٥) .

قالت^(٦) : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم^(٧) قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

(١) كاتبته على نفسها : أى عقدت عقداً بينها وبينه على أن تدفع له مبلغاً معيناً ثم يعتقها ويطلق سراحها .

(٢) أى تطلب منه المساعدة بالمال .

(٣) أى غارت منها : لخوفها أن يعطف عليها الرسول ﷺ ويتزوجها ويعتقها .

(٤) أى أذفع عنك ما اتفقت على دفعه .

(٥) وكان نظره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسننها ما عرف ؛ فإنما ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ؛ لأنه لا يكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إني قد وهبت لك نفسى يا رسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكحها غيره ، وقد ثبت عنه ﷺ الرخصة فى النظر للمرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : « اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

(٦) أى عائشة : وهى التى تروى هذا الحديث .

(٧) أرسلوا ما بأيديهم : أى أطلقوا سراح من أسروهم من بنى المصطلق لأجل السيدة

جويرية رضى الله عنها .

✽ وجوب التأكد من الأخبار :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله ﷺ بعث إليهم ^(١) بعد إسلامهم : الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ^(٢) فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ^(٣) ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فيبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا : فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر ^(٤) راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك ^(٥) ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ۝ ٥٠ ۝ ﴿ ^(٦) إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

* * *

(١) أى إلى بنى المصطلق .

(٢) أى خافهم .

(٣) وهذا ظن منه واعتقاد لم يثبت منه .

(٤) أى أسرع راجعاً .

(٥) ومن هنا وجب التأكد من الأخبار حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الفهم

الخطأ .

(٦) سورة الحجرات : الآيات ٦ - ٧ .

خَبَرُ الْإِفْكَ ^(١) فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمِصْلَاقِ

* إقْرَاعُ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ نِسَائِهِ عِنْدَ السَّفَرِ :

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهري عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير عن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى ^(٢) له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق ^(٣) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رحلت لي بعيري جلست في هودج ^(٤) ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجه قافلا ^(٥) ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل

(١) الإفك : أى الكذب والخداع ، واختلاق الأحاديث الكاذبة .

(٢) أوعى : أى أحفظ من غيره وأوثق منه .

(٣) العلق : جمع علقة ، وهو ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٤) الهودج : عبارة عن صندوق ، كان مخصصا للنساء يجلسن فيه وهو مغلق من جميع النواحي ما عدا ناحية الدخول وإذا أغلقت لم ير منها شيء ويوضع فوق الناقة أو الجمل .

(٥) قافلا : راجعا .

— ابن إسحاق — ١١٥ —

منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ^(١) ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار ^(٢) ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافاً للذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ^(٣) ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

* صفوان يحمل عائشة على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرُجع إلىَّ قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ^(٤) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ^(٥) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى . قيل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رأى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعينة رسول الله ﷺ !

(١) أى لقضاء حاجتها .

(٢) الجزع : الخرز ، ظفار : مدينة ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وذلك لأنها - رضي الله عنها - وكانت خفيفة المحمل ، لدرجة أنهم حملوا الهودج ولم

تكن فيه فلم يعرفوا ولم يدركوا أنها ليست بداخله .

(٤) وهو صفوان بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهسة

ابن سليم السلمى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما

يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل

الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى

يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ﷺ

وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقیل الرأس لا

أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى ﷺ : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار

حديث أبى داود هذا فى مسنده ، وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت

رجله يوم قتل فطاعن بها وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

(٥) أى شخصى .

— ١١٦ — ابن إسحاق —

وأنا متلففة في ثيابي : قال : ما خلعتك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبي ، واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير . فأنطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما أفقتدت ^(١) حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ^(٢) ما قالوا ، فارتعج ^(٣) العسكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك ^(٤) .

* الرسول يهجر عائشة :

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكت شكوى شديدة ^(٥) ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ، كنت إذا اشتكت رحمني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني ^(٦) قال : كيف تيكم ^(٧) ، لا يزيد علي ذلك .

* عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي ، فانتقلت إلى أمي ، فمرضتني ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ^(٨) ، حتى نكثت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه

-
- (١) أي لم يشعر أحد بعدم وجودي في الهودج وتخلفني عنهم .
 - (٢) وهم الكذابون الذين رموها بالفحش وهي أظهر نساء العالمين ^(١) .
 - (٣) ارتعج : اضطرب .
 - (٤) أي لم تعلم بما اتهموها به وأنهم رموها بالفحش ، ولم تعلم شيئا .
 - (٥) أي مرضت مرضا شديدا .
 - (٦) أي تقوم على الرعاية والاهتمام بها ومداواتها ، وهي أم رومان .
 - (٧) أي كيف حال من عندكم ، أو كيف حال تلك - يقصد عائشة .
 - (٨) أي حتى تلك اللحظة لم تعرف ولم تسمع شيئا عما حدث .

— ابن إسحاق — ١١٧ —

الكنف ^(١) التي تتخذها الأعاجم ، ناعفا ونكرها ، إنما كنا نذهب في فسخ المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر ابن كعب بن تيم ، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذا عثرت في مرطها ^(٢) ، فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت وما الخبر ؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتي ^(٣) ، ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي : قالت : وقلت لأُمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئًا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

* خُطْبَةُ الرَسُول فِي النَّاسِ :

قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ولا يقولون عليهم غير الحق ، والله . ما علمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا ، وما يدخل بيتًا من بيوتى إلا وهو معى ^(٤) .

(١) الكنف : جمع كنيف وهو دورة المياه ، وعادة العرب حقًا حتى الآن ممن يسكنون الصحراء لا يبنون كنيفًا فى بيوتهم ، ويقضون حاجتهم خارج المنزل .
(٢) فى مرطها : كسائها .

(٣) لشدة حزنها وصدمتها - ﷺ - وذهولها من هول ما سمعت والصدمة الشديدة التى هزتها لتهمتها التى هى منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، ولذلك قيل : إن تهمة البرىء أثقل من السماوات والأرض .

(٤) وهو مسطح بن أثانة وكان ابن خالة سيدنا أبى بكر ويعتبر عم السيدة عائشة رضي الله عنها .

* مَنْ تَزَعَّمْ نَشْرَ حَدِيثِ الْإِفْكَ :

قالت (١) : وكان كبير ذلك (٢) عند عبد الله بن أبي ابن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبنى (٣) في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

* أثر الخطبة :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقال سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : وتثار الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل على .

* الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة :

قالت فدعا على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ، فأما أسامة فأنى على خيراً ، ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقني رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما

(١) أي السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أي إثمه ، فهو الذي تولى وتزعم هذا .

(٣) في الأصول : تناصيني ولكن السهيلي قال : إن الحديث في تناصيني من المناصاة

أي المساواة ، انظر الروض الأنف تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٤ / ٢١ .

— ابن إسحاق — ١١٩ —

كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أنى كنت أعجن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله (١) .

* براءة عائشة من فوق سبع سماوات :

قالت : ثم دخل رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبواى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما ، قالت : وإيم الله؟ (٢) لأننا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآن يقرأ به فى المساجد . ويصلّى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبواى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت (٣) ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونى . قالت : ثم التمسست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :

(١) الحق يقال أن شهادة الإمام على - كرم الله وجهه - لا تمثل اتهاماً للسيدة عائشة ، ولكنه يحكم فيها دون مجاملة لأى أحد من الطرفين وطلب سماع شهادة الجارية عن السيدة عائشة ، وهذا لاغبار عليه ، فقد جاءت الشهادة من الجارية فى حق السيدة عائشة أنها لا تعلم عنها إلا خيراً ، ولذلك لم يقل الإمام على أية كلمة اتهاماً للسيدة عائشة .

(٢) نوع من أنواع القسم .

(٣) بكى بكاءً شديداً لعدم دفاع أبويها عنها .

١٢٠ ————— ابن إسحاق —

﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ . قالت : فوالله ما برح ^(١) رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ^(٢) ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى ^(٣) عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان ^(٤) فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمد الله ^(٥) ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

﴿ قصة أبى أيوب مع زوجته :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك ^(٦) .

﴿ ما نزل من القرآن فى حديث الإفك :

قالت ^(٧) : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل

(١) أى ما ترك .

(٢) أى نزل عليه الوحي .

(٣) أى ذهب عنه .

(٤) الجمان : اللؤلؤ .

(٥) وهذا دليل إيمانها الشديد أول كلمة نطقتها حمدت من برأها وأنزل فى حقها القرآن يتلى إلى يوم القيامة .

(٦) وهذا يبين إلى أى مدى عدم تصديقهم لما قيل لأنه محال عليها فهى زوج نبي .

(٧) أى عائشة فهى الراوية .

— ابن إسحاق — ١٢١ —

الإفك فقال تعالى : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ ^(١) ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ^(٢) .

ثم قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾ ^(٣) أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه ^(٤) ، ثم قال : ﴿ إذ تلقونه بالستكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ﴾ ^(٥) .

* موقف أبى بكر من مسطح :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال : أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته ^(٦) . والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، فأنزل الله فى ذلك : ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصْفَحُوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ ^(٧) .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

(١) سورة النور : الآية ١١ .

(٢) قال ابن هشام : والذي تولى كبره عبد الله بن أبى وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا .

(٣) سورة النور : الآية ١٢ .

(٤) أى قالوا خيراً فى حق عائشة .

(٥) سورة النور : الآية ١٥ .

(٦) وكان ذا رحم له ، ابن خالته .

(٧) سورة النور : الآية ٢٢ .

— ١٢٢ — ابن إسحاق —

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَوْا وَقَدْ كَثُرُوا
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبِهِ
مَا لَقَتِيلى الذى أَغْدُو فَأَخْذُهُ
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً
يَوْمًا بِأَغْلَبِ مَنِ حِينَ تَبْصُرْنِي
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلِمَهُمْ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزَلَةٍ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ

ابن عتبة :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنَّنِي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتَ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال ، ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجتترأت ^(٥) ، أطلق الرجل ، فأطلقه ^(٦) ، ثم أتوا

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أى منفرد .

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه .

(٣) يغطئل : يتحرك . العبر : جانب البحر .

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

(٥) اجتترأت : أى تعديت حدودك ؛ لأن الرسول ﷺ لم يأمرك بذلك .

(٦) وهنا يتبين إلى أى حد كان الصحابة رضى الله عنهم - يحترمون آراء بعضهم ، والمخطيء منهم يرجع عن خطئه إذ ذكره صاحبه ولا يتشبث برأيه ، وكانت أخلاقهم عالية لأنهم تربوا فى مدرسة رسول الله ﷺ .

— ابن إسحاق — ١٢٣ —

رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان (١) ، وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربتته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت (٢) على قومي أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسن يا حسان في الذي أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم ، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وهي قصر بنى حذيلة اليوم بالمدينة (٣) ، وكانت مالا لأبى طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ ، فأعطاه رسول الله ﷺ حسان في ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

* اعتذار حسان عن اشتراكه في حديث الإفك :

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قاله في شأن عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرسى من لحوم الغوافل (٤)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرَ زَائِلٍ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خَيْمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ (٥)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ رَعِمْتُمْ فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي

(١) ولم يحدث شيء من ضربة السيف .

(٢) أتشوهت على قومي : أى أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله ، هكذا قال السهيلي في الروض الأنف ٤ / ٢٢ .

(٣) وذلك رغم أنه كان ممن أشاعوا الإفك ومن تولوا كبره - إثمه - فيالها من أخلاق سامية عالية هي أخلاق النبوة التي علمها له الله حيث قال ﷺ : « أدبني ربى فأحسن تأديبي » ومدحه ربه فقال : « وإنك لعلى خلق عظيم » يعفو عمن ظلمه ووقع في عرض روجه ، فياليتنا نتأسى بهذه الأخلاق الحميدة وبسيرة صاحب السيرة العطرة ﷺ .

(٤) حصان : فعال بفتح الحاء ، يكثر فى أوصاف المؤنث ، وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها .

(٥) الخيم : الطبع ، وهنا يعترف حسان أن عائشة أظهر نساء العالمين وأن الله طهرها .

وكيف وودى ما حييت ونصرتى لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سـورة المتناول
فإن الذى قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئ بى ماحل^(١)

وقالت جارية من العرب لأُمها :

يا أُمّا أبصرنى رآكب يسير فى مسحنفر لأحب
جعلت أحنى التراب فى وجهه حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقال لها أُمها :

الحصن أدنى لو تأبته من حثيك التراب على الرآكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبى سعيد فى شرح أبيات الإيضاح . والزران
والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

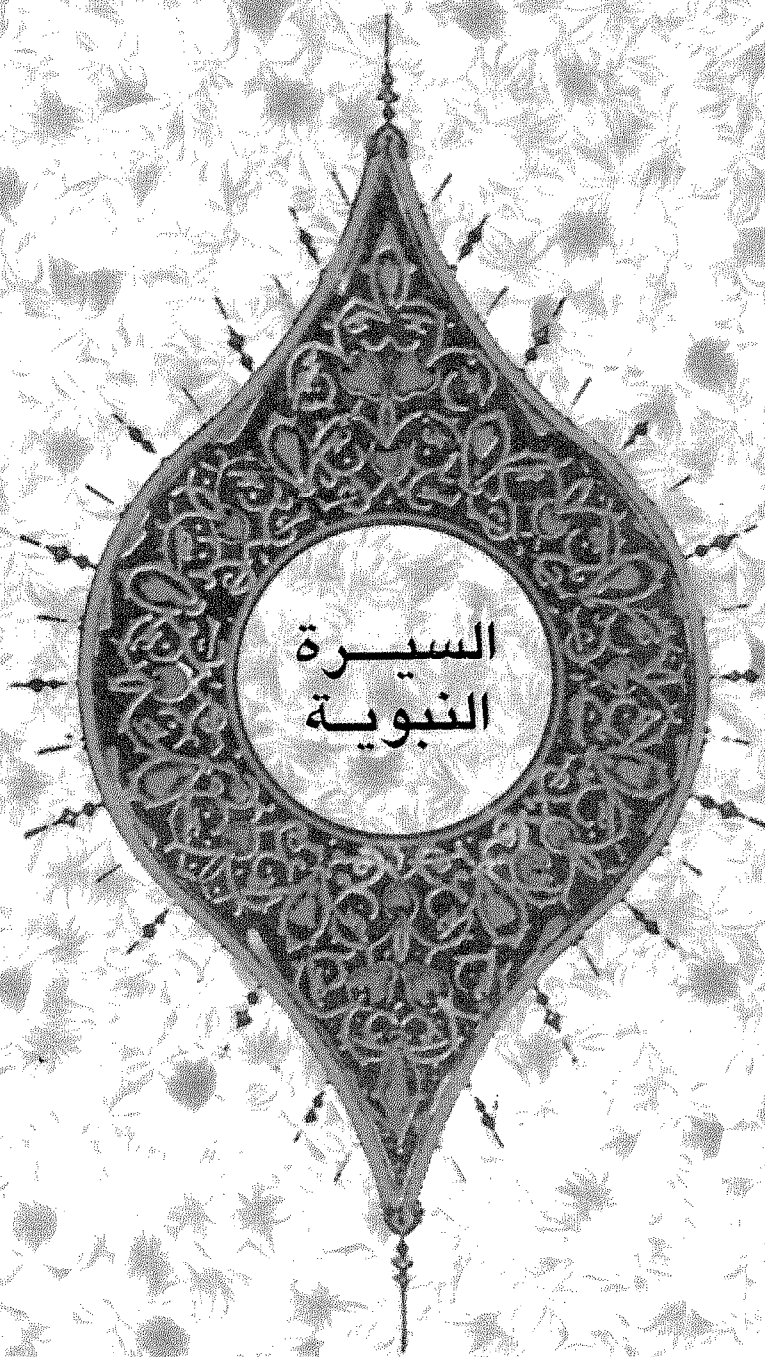
وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ، أى خميسة البطن من لحوم
الناس ، أى اغتياهم وضرب الغرث مثلاً ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى
التنزيل : ﴿ أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ﴾ ضرب المثل لأخذه فى العرض
بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما
عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقول فيه
المغتتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما
قال سبحانه : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾ جعلهن غافلات ،
لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة
عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .



(١) لائط : لاصق . ماحل : ماشى ، وكانت هذه الأبيات من حسان خير
اعتذار عما بدر منه وتأسفاً منه عما حدث ، وتجديد العهد منه بأنه المدافع عن الرسول وآل بيته .



السيرة
النبوية